التواكل والقدرية والعناية الإلهية

للقديس يوحنا ذهبي الفم

دكتور جورج عوض إبراهيم

التواكل والقدرية والعناية الإلهية

للقديس

يوحنا ذهبي الفم

٦٠-٤٢ / نسكيات
٢٤٠٥ / م
١٤٠٢م / ١٧٠م

ترجمة

دكتور جورج عوض إبراهيم

قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدمة ٧

المقالة الأولى

إضطراب الحياة وقلقها لا ينتج عن ظروف
الحياة، بل نحن الذين نصنعها بأنفسنا ١٠

المقالة الثانية

التواكل والقدرية ١٩

المقالة الثالثة

اعتبار القدرية مبرِّرًا لارتكاب الخطايا،
يُعَدُّ غباءً عظيمًا ٣٠

المقالة الرابعة

التعليم المستمر ضد الإيمان بالتواكل
والقدرية، ضروري للمؤمنين ٣٦

المقالة الخامسة

النتائج المحزنة التي يجنيها الإنسان عندما
يؤمِن بالتواكل والقدرية ٤٨

المقالة السادسة

الإسراف في تناول الأطعمة: هل يُعتَبَر خطية؟.......... ٥٧

التواكل والقدرية
والعناية الإلهية

للقديس يوحنا ذهبي الفم

مقدمة

يتساءل الكثيرون عن مسيرة الحياة وهل هي تُحدَّد إجباريًّا عن طريق عوامل خارجية مستقلة عن الإنسان - نقصد عن طريق التواكل والقدرية - أم أن الإنسان يتمتع بحرية تُمكِّنه أن يصنع طريق حياته بإرادته.

يفحص القديس يوحنا ذهبي الفم ويُحلِّل موضوع القَدَرية ومفهوم العناية الإلهية وذلك من خلال ستة مقالات نُشرت بمجلد ميني (PG 50، 749- 774) ـ وقد استعنَّا أثناء الترجمة بالنص المنشور بواسطة Αποστολική Διακονία من ضمن سلسلة: صوت آبائنا Η φωνή τῶν πατέρων μας كتاب رقم ٥، أثينا ١٩٨٩ ص٩-٦٣. يهدف القديس يوحنا بهذه المقالات إلى بناء المؤمنين أخلاقيًّا وروحيًّا، فالمؤمنون يتعرضون مرات كثيرة للارتباك والحيرة أمام التعاليم الكاذبة والخرافية التي تخرج عن التعاليم المسيحية.

في المقالة الأولى: يحاول القديس يوحنا ذهبي الفم من خلالها توجيه المؤمنين إلى النظرة الواعية والتقييم الصحيح للأمور العالمية حتى يتجنبوا خطية إدانة الله عندما يواجهون مصاعب وأحزان في الحياة. ويحثهم فيها على التحلِّي بنبل النفس المُحِبة للفضيلة وألاَّ يستندوا على الأشياء المادية لكي يحصلوا على السعادة.

وفي المقالة الثانية: يُشدِّد ذهبي الفم على أن الإيمان بالقَدَرية هو بمثابة تجديف على الله نفسه طالما أن الذين يعتقدون في التواكل والقَدَرية ينكرون العناية الإلهية في حياتهم ويتقاعسون عن الجهاد من أجل الكمال الأخلاقي.

والمقالة الثالثة: نجد فيها ملامح أكثر للسلوكيات الاجتماعية، إذ يعرض القديس للنتائج المؤسفة الناجمة عن إعتقاد الإنسان بأن كل شر يفعله يأتي من القَدَرية المحتومة التي سبقت فحدَّدت أعماله. ولا تقتصر هذه النتائج على الروحيات، ولكنها تشمل نتائج اجتماعية أيضًا.

المقالة الرابعة: يستعرض القديس فيها الوسائل التي تساعد المؤمنين على التخلص من الاعتقاد الخرافي عن القَدَرية. وتتلخص هذه الوسائل في الصلاة المستمرة، والشركة مع الله، والتعمق في الإيمان بالحياة بعد الموت والإيمان بالدينونة.

المقالة الخامسة: نرى فيها أيضًا عرضًا سلوكيًّا وأخلاقيًّا يركز فيه ذهبي الفم أيضًا على النتائج المؤسفة التي سوف يُمنَى بها الإنسان بسبب هذا الاعتقاد الخرافي بالقَدَرية.

المقالة السادسة: نجد فيها وصفًا دقيقًا للنهم والشراهة وما لهما من علاقة بمحتوى الاعتقاد الخاطئ بالقَدَرية. ويؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم فيها على أن الذين ينسبون كل شيء إلى القَدَرية ولا يقبلون حقيقة وجود العناية الإلهية في حياتهم ولا يعتقدون في الحياة بعد الموت ولا في الدينونة ينطبق عليهم القول: «نأكل ونشرب لأننا غدًا نموت» (١كو١٥: ٣٢).

المقالة الأولى

إضطراب الحياة وقلقها لا ينتج عن ظروف الحياة، بل نحن الذين نصنعها بأنفسنا

حقًا يملأ الاضطراب حياتنا ويسود القلق على معيشتنا، لكن الشر - يا أحبائي - لا يكمن، لا في الاضطراب ولا في القلق في حد ذاتهما، إذ أننا نستطيع أن نتخلص منهما بكل سهولة، أو أننا يمكن أن نحتملهما بدون حزن. ولكننا للأسف لا نفعل هذا، بل نقضي كل وقتنا في يأس.

السبب الحقيقي للحزن:

إننا نرى الواحد يحزن لأجل فَقرُه والآخر لأجل مرضُه، بينما نرى آخرين يحزنون لأجل هموم ومشاكل تتعلق بإحتياجات الأسرة مثل توفير الطعام. ويحزن البعض الآخر بسبب حرمانهم من إنجاب النسل. عليكم يا إخوتي أن تلاحظوا أن هذا يُعتَبر نوعًا من الحماقة إذ أنه لا يوجد سبب واحد للحزن بالنسبة للجميع، بل إن ذلك يتوقف على الرؤية

الخاصة لكل إنسان. ولتوضيح ذلك نقول: لو كانت هذه العوامل التي ذُكِرت هي سبب أحزاننا لَوَجَب الحزنُ لأجل أمورٍ ثابتة ومشتركة لدى جميعنا ولا تتغير من شخصٍ لآخر. فعلى سبيل المثال لو كان الفقر شرًا يدعو للحزن لكان على الغَني أن يحيا بدون حزن أو اضطراب. ولو أن مَنْ حُرِم من إنجاب أولاد عليه أن يحزن، لكان على مَنْ له أولاد أن يظل سعيدًا. كذلك لو أن مَنْ له سلطان أن يحكم مدينة ويتمتع بكرامة ولديه كثير من الخدم تحت طوعه ويعيش حياةً تستحق الحسد هو الذي يعيش سعيدًا، لكان على الناس جميعًا أن تهجر حياة الهدوء والسكينة وينشدون مثل هذه الحياة. ولكننا نرى أن الغني والفقير يتعرضا للحزن، وكثيرًا ما يكون حزن الغني أقوى من حزن الفقير.

علينا إذًا ألاَّ ننسب سبب أحزاننا إلى هذه الأمور في حد ذاتها، بل نُرجعها بالحري إلى أنفسنا نحن الذين لا نستطيع أن نتعامل مع هذه الظروف كما ينبغي لكي نتخلص من كل ضيق.

إن الحزن والاضطراب والقلق تُعتَبر من العوامل التي لا تكمن داخل الظروف التي نتعرض لها، بل أن النفس الإنسانية هي التي إعتادت على تجسيدها. والدليل على ذلك أنه عندما تكون النفس في حالة جيدة، فإننا ننعم بالسلام والهدوء حتى لو ضربتنا الأمواج من كل ناحيةٍ. والعكس صحيح فعندما

نكون في حالة نفسية سيئة فإننا نشعر بالضيق والقلق وكأننا على وشك الغرق حتى لو كان كل شيء حولنا على ما يرام.

إننا نستطيع أن نؤكد ذلك لو أخذنا الجسد كمثال: فمن يتمتع بصحة جيدة، لن يعاني أي أذى حتى لو أحاطت به جميع الظروف المناخية المضادة، بل يمكن أن يكتسب قوة أكبر عندما يعيش في هذه الظروف. أمَّا مَنْ كانت صحته ضعيفة وجسده مريضًا، فإنه لن يستطِع أن يستفيد شيئًا حتى لو عاش في مناخ ممتاز؛ لأن ضعفه سيجرده من أي إحساس بذلك المناخ. وينطبق هذا أيضًا على مقدرة المِعدة على القيام بوظائفها في هضم الطعام. فعندما تكون سليمة فإنها تهضم حتى الطعام عسر الهضم، أمَّا عندما تكون مريضة فإنها تدمِّر نوعية الطعام الجيد ولن يفيد الجسم بشيء على الرغم من جودة الطعام وسهولة هضمه. أيضًا العين عندما تكون مريضة فإنها لا ترى في وضح النهار سوى ظلمةً وأشباحًا ولا يفيدها نور الشمس. أمَّا مَنْ كانت عينه سليمة، فإنها تقود جسمه بأمان حتى في الظلام الدامس.

هكذا أعين نفوسنا: فبقدر ما تكون صحيحة بقدر ما تميِّز الأشياء بسهولة حتى لو كانت هذه الأشياء متداخلة فيما بينها. أما عندما تكون سقيمة فإنها سترى فوضى واضطرابًا عظيمًا حتى في السماء نفسها.

عنايةٌ إلهية، وليس قدرًا مكتوبًا

هكذا نحن يا أحبائي يجب علينا ألاَّ نتَّهم اللّه بأنه هو السبب عندما نتعرض للقلق أو الاضطراب. إن إلقاء اللوم على اللّه لا يُعَدُّ دواءً للجرح، بل يخلق جرحًا جديدًا إضافةً للقديم. ليتنا نطرد الاعتقاد بأن هناك قوة فوق العناية الإلهية تسبِّب كل هذا، أي القَدَرية؛ لأن فكرة القَدَرية مملوءة بالتجديف والتطاول على اللّه. إذ أن الإضطراب الحقيقي يوجد داخل فكرنا المضطرب نتيجة القلق والفوضى الداخلية، ولذلك فهذا الفكر لن يستفيد حتى من التناسق الجميل لأمور الحياة.

أما القول بأن الظروف الخارجية هي السبب وراء كل ما يصيبنا من أضرار، فإنني أجيب عليه مبرهِنًا بأمثلة من الماضي والحاضر:

هناك كثيرون يعانون الفقر ولكنهم لا يتوقفون عن شكر اللّه، في حين أن الذين لا يصيبهم أي مكروه يستمرون في التجنيِّ على عناية اللّه. وكم ممن يحتملون العذاب شاكرين وهم يقضون حياتهم في السجون، بينما الذين يعيشون أحرارًا وآمنين لا يفعلون ذلك. إن حالة نفوسنا وفكرنا هي السبب في ما نشعر به وليست طبيعة الأشياء في حد ذاتها. ولذلك فإذا ما اعتنينا بنفوسنا فسوف لا نعيش في اضطرابٍ وتخبطٍ، ولن نعيش في الشر حتى لو سارت بنا ظروف الحياة إلى فوق أو هبطت بنا إلى أسفل.

لنتمثل ببولس الرسول الذي لم يُهزَم أمام الضيق والاضطهاد:

أخبرني: لماذا يشكر بولس الرسول الله دائما؟ لقد عاش هذا الرسول حياةً صالحةً وبارةً بين الناس، ومَارس حياة الفضيلة على الدوام ولكنه عانى متاعب جمة، من النادر أن يعاني مثلها أحد. وبينما كان يرى آخرين منغمسين في الخطيئة ومتمتعين بخيرات هذا العالم، فإنه كان يشكر الله لأجل شدائده والتي كانت تحث الآخرين على أن يتمثلوا به. عليكم إذًا أن تتشبهوا ببولس الرسول.

فعندما ترى الخاطيء يفرح ويفتخر وينتصر على أعدائه، وينتقم لنفسه من الذين يحزنونه، وتندهش عندما تراه لم يُصَب بأي أذى، بل ينال احترام وتملّق الآخرين. وحين تكون أنت على العكس من ذلك تُبلَى بمصائب وكوارث، فلا تعتقد في نفسك أنك مُحتقَر ومرذول، بل تأمّلْ بولس الذي كان يواجه ظروفًا عصيبة، ولكنه استطاع أن يقوِّم نفسه ويستعيد شجاعته النفسية، ولم يُهزَم من الألم ولا من الضيق.

ولذلك فعندما ترى شخصًا يعيش بتقوى وتعفف ولكنه يُحتقرَ من الناس بسبب ضعفه فيجب عليك أن تطوِّبه حتى لو كان مقيدًا بسلاسل. إن مثل هذا الشخص يُعتبَر طوباويًا حتى لو أحرقوا جسده. أما

إذا رأيتَ إنسانًا يحيا في العصيان والخطايا وينال كرامة من الناس إذ يجلس على عرش ملكي متوَّجًا بتاج ولابسًا ثياب الملوك ويتسلط على العالم، فمثل هذا تبكي من أجله وتحزن. إذ ما الفائدة في أن يكون الإنسان غنيًّا بالأموال ولكنه أفقر الجميع في الفضيلة؟ ما هي مكاسبه من غناه العظيم في الوقت الذي فيه لا يستطيع أن يسيطر على ذاته وشهواتها؟

إن المتاعب والآلام تبدو ثقيلة وغير محتملة لمن يعيش حياةً سهلةً ومترفةً، لذلك فإن أغنى الأغنياء عندما يعاني من بعض الأمراض فإنه يعاني كثيرًا جدًا، أمَّا الفقير الذي يعوقه فقره عن التمتع بأي شيء، فإنه يتعزى حتى بسبب الاحتياج نفسه.

وأتساءل: كيف يجب أن نحزن على شخص يعاني من مرض جسدي عندما يكون هذا الشخص مترفًا ونفسه غير نقية ـ هذه النفس التي لا يوجد شيء يساوي قدرها ولا أغلى منها ـ وكيف نطوب هذا الشخص لأجل كرامة مؤقتة أو لأجل امتلاكه قليل من المال أو لأي شيء آخر مما يبقى هنا ويهجرنا مع هذه الحياة؟!!: أرجوكم لا تقعوا في هذا الخطأ. هذه الأشياء (الكرامة العالمية، المال ..) تجلب علينا القلق وتسبب لنا الإرتباك. وهذا هو ما يجعل الكثيرين يتطاولون على الله ويتهمونه، ولهذه الأسباب أيضًا يظنون أنه لا توجد عناية إلهية في العالم.

لو كان الذين يطرحون معي مثل هذا السؤال قد عرفوا أنه لا يوجد في الحياة الحاضرة شيء ذو قيمة سوى الفضيلة، لا الغنى، ولا المال، ولا الصحة، ولا السلطة، ولو عرفوا أنه لا شيء شرير في الحياة الحاضرة سوى الدنس والخبث وانحراف النفس، لو عرفوا ذلك لما اعتقدوا أنه لا توجد عناية إلهية في العالم، ولا عاشوا في حزن وضيق ولا طوّبوا أولئك الذين يستحقون الحزن ولا حزنوا على الذين يستحقون التطويب ولا حسبوا البشر مثل الحيوانات. إنك عندما تطوِّب الناس لأجل ضخامة أجسامهم أو لأجل موائدهم الغنية بالأطعمة أو لأنهم يستمتعون بالاستغراق في نوم عميق، عندئذ لن يكون هناك إلاَّ حقيقة واحدة تنتج عن ذلك، ألا وهي أنك تحسب البشر كأنهم حيوانات غير عاقلة؛ لأن هذه الأمور تملكها الحيوانات غير العاقلة. وكثيرًا ما يُستغنى عن الجياد عندما تصاب بالكسل نتيجة تناولها طعامًا زائدًا. فإذا كان هذا الضرر يحدث لحيوانات غير عاقلة وتُقيَّمُ جودتها على أساس قوة أجسامها، فكم يكون الضرر الذي يلحق بالإنسان الذي لا يُقدَّر على أساس مدى تقدم نفسه وارتقائها؟!

الجسد يخدم النفس العاقلة الخالدة:

لم يخلق الله جسدنا مثل جسد الحيوانات غير العاقلة، بل خلقه لائقًا لأن يخدم نفسًا عاقلة خالدة.

هيا نفكر معًا ونتساءل: لماذا خلق الله أعين الحيوانات تنظر إلى أسفل بينما وضعها في الإنسان فوق، في الرأس كما في قلعة عالية؟ لأن تلك الحيوانات لا تملك شيئًا مشتَركًا مع السماء، بينما أُعطى لك من البداية وصية من الله أن تنظر إلى فوق.

ولماذا جعل جسدك يقف مُنتصِبًا بينما الحيوانات تنظر إلى أسفل؟ والرد على ذلك هو نفس الأمر، لكي يعلِّمك بهذا الشكل الجسدي الذي لك ألاَّ يكون لديك شيئًا مُشتَركًا مع الأرض ولا أن تلتصق بأمور هذه الحياة.

خاتمة:

ليتنا إذًا لا نرفض شرف إنسانيتنا ونهبط إلى جنس الحيوانات حتى لا يُقال علينا إن «إنسانًا في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد» (مز٤٩: ٢٠). وكون أن المرء يحدد السعادة على أساس المُتَع والغنى والمجد الباطل، فهذا لا يتناسب مع شرف وأصل الإنسان، بل كائن يُحسب من ضمن الحيوانات[1]. ليت أمثال هؤلاء ألا يكون لهم وجود في هذا الاجتماع الموقَّر، في هذا المشهد الروحي، في هذا التجمع المقدس.

علينا أن نأتيَّ يومًّا لسماع العظة اليومية حتى نتيح الفرصة أمام كلمة الله لتقطع - مثل المنجل - شهوات

١– أي ليس باعتبار الإنسان مخلوقًا على صورة الله ومثاله، بل باعتباره مجرد كائن حي يشترك مع غيره من الكائنات في الحياة البيولوجية (المترجم).

النفس الوقحة، فنصير أشجارًا مثمرة وننتج ثمرًا ناضجًا يُحفظ في الخزانة الملوكية، ولكي نقدم مجدًا لربنا وإلهنا كلنا ومُفلِّح نفوسنا، وتكون لنا الحياة الخالدة التي نتمنى أن نفوز بها بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة والكرامة إلى دهر الدهور آمين.

المقالة الثانية

التواكل والقدرية

مقدمة

يقول الكتاب المقدس: «مَن شتم أباه أو أمه يجدف على الله»[٢]. كان هذا الناموس ساريًا في العهد القديم، في ذلك العصر الذي لم يكن فيه اهتمام كبير بحياة الفضيلة، وفي وقت بداية ظهور الإرادة الإلهية حيث كانت الوصايا لا تزال طفولية، وحينما كان اللبن هو الطعام، وعندما كانت هناك حاجة إلى مُرَبّ (أي الناموس) وإلى السراج والمثال والظل.

ولكن ماذا نستطيع أن نقول اليوم للمتمتعين بنعمة الله ويعرفون حقيقة الأمور، ولكن بالرغم من أنهم يملكون هذه المعرفة العظيمة، إلاَّ أنهم يَشتمون ويتفوهون بالشر ليس على الأب والأم فقط، بل على الله نفسه. أيُّ عقابٍ ينتظر هؤلاء، وأيُّ خوفٍ وندم ونحيب!

٢- في سفر اللاويين ٢٠: ٩ «كل إنسان سبَّ أباه أو أمه فإنه يُقتل. قد سَبَّ أباه أو أمه. دمه عليه».

الإيمان بالتواكل والقدرية تجديفٌ على الله:

توجد طرق مختلفة للتجديف على الله، ومن الضروري أن نستعرضها اليوم حتى لا نسقط في واحدة منها بإرادتنا، ولا نترك أحدًا من أصدقائنا، ولا حتى أعدائنا أن يسقط فيها.

من هم الذين يجدِّفون على الله؟ هم الذين يضعون حتمية القَدَر فوق حكمة العناية الإلهية. والذين يعبدون الأصنام المرمرية والخشبية هم أيضًا مصابون بهذا المرض، وهذا ليس بغريب. أمَّا أن يتقهقر أولئك الذين تخلصوا من الضلال والعبودية إلى هذا التفكير وهذا الجنون - وهم الذين نالوا استحقاق المعرفة الحقيقية لإله الجميع والإله الحق - فإنهم بذلك يشبهون أناسٌ انزلقوا وسط سيل متدفق، وكانت حالتهم هذه تستحق الحزن والدموع والرثاء.

إن الذين سجدوا للمسيح، واستحقوا أن يعرفوا أسرارًا كثيرة، وعرفوا عقائد الحق والحكمة التي أتت إليهم من السماء، واستمتعوا بحياة وهبها لهم الله، ثم إنزلقوا إلي الإيمان بالتواكل والقَدَرية يكونون قد دمَّروا أنفسهم بإرادتهم ورفضوا بغباء شديد الحرية الممنوحة لهم من الله، واستُعبدوا لمثل هذا الأسر الرهيب، وقطعوا كل رجاء صالح، بل وشرعوا في إضعاف أولئك الذين يهتمون بالفضيلة.

التواكل والقدرية حيلة خبيثة من حِيَل الشيطان:

كما يحدث في الحرب عندما يعمل العدو ألف حساب لجنود الجيش الآخر البواسل المستعدين للتضحية بحياتهم من أجل وطنهم، وعندما لا يستطيع هذا العدو أن يهزم هؤلاء البواسل ويفشل في أن يُثنيهم عن استعدادهم للجهاد من أجل مملكتهم وكذلك لا يستطيع أن يخيفهم أو ينتصر عليهم بأسلحة فنية مختلفة، عندئذ يحاول أن يجرِّدهم من قوتهم بأي طريقة، إذ يشرع في إقناعهم بعدم جدوى جهادهم هذا وأنه بلا هدف لدرجة تصل إلى شَلِّ أيديهم وتحطيم قوتهم وإطفاء حماسهم وتأهبهم للمعركة، وهكذا يجعل عملية اعتقالهم كأسرى أمرًا سهلاً جدًا.والشيطان يفعل نفس الأمر، فهو إذ يرى أن أغلبية الناس تحتقر ضلالة عبادة الأوثان - وذلك بمساندة نعمة الله التي تساعدهم على أن يتبعون بكل نفوسهم وفكرهم تعاليم التقوى فينشغلون دائمًا بالفضيلة، وفي نفس الوقت يحتقرون الشر، فلا يجرؤ الشيطان على أن يظهر لهم ويقول: «اذهبوا بعيدًا عن المسيح فهو شرير ولا يحب البشر». لا يجرؤ على ذلك لأنه يعرف أنهم بهذه الطريقة سيهربون من طغيانه ويكرهونه، لذلك لم يتجنَّ على الله بطريقة مباشرة، بل أنه يتحرك بخبث وينفث خفيةً سُم التعاليم المنحرفة، تاركًا انطباعًا ظاهريًا للإنسان أنه لا يزال في الإيمان وهو في الواقع يقتلع الإيمان من

جذوره ويعرقل عقائد الحق، ويتطاول كثيرًا على الله أمام هؤلاء الذين يقتنعون به.

احترس من خبث الشيطان:

لا يتحدث الشيطان قائلاً: تمردوا على المسيح - وأرفضوا الحقائق الإلهية؛ لأنه يعرف أن كلامه سيكون كذبًا وافتراءً ولن يصبح صادقًا في نظرنا، لكنه بخبثٍ ومكرٍ يجعلنا نظن أنه متفق معنا في حقيقة وصحة الأمور الإلهية. ثم يجعلنا بعد ذلك - وبطريقة أخرى لا نعرفها - نفقد هذا الميراث الأبدي. إنه مثل خادم خبيث يريد أن يطرد ابنًا أصيلاً وحرًا وبريئًا من بيت أبيه، فلا يقوم هذا الخادم ويمسك هذا الابن ويطرده ولكنه ينصحه بأن يفعل الأمور التي تتسبِّب - إنْ فعلَها - في فقدانه لثروة أبيه سواء أراد أو لم يُرد.

ولنفس هذا الهدف يضع الشيطان هذا السُم الحامل الموت، وهو الإيمان بالتواكل والقَدَرية الذي يقدِّمه كدواءٍ شافٍ، لكي يحقق في الخفاء مقاصده، ولكي يبرهن على أن إيماننا وتسليم حياتنا يعتبر عبثًا، وأيضًا لكي يقنع البشر بكلامه عن طريق إثارة انطباعات سيئة عن الله.

هكذا فعل منذ بداية الخليقة مع آدم، إذ قدم له الله على أنه إلهٌ حسود وغيور، وربما يكون وسوس في أذنه بكلمات على هذا النحو: لقد عرف الله أن

أعينكما ستنفتح وتصيران آلهة لذلك فهو يحسدكما ويَغيرُ منكما بسبب مكانتكما العظيمة جدًا. وإن كان الشيطان لم يقل هذا الكلام بالضبط إلاَّ أنه قادهما إلى هذه النتيجة. انتبه حتى ترى مدى إجرامه. لقد حرَّف قرار اللّه، وقال لآدم وحواء إنه في حالة عدم طاعتكما للّه سوف تحققان خيرات عظيمة مثل إنفتاح أعينكما وتصيران مثل اللّه وتعرفان كل شيء. لاحظ أنه لم يقل إن اللّه هو الشرير الذي يعيقكما عن كل هذا حتى لا يبدو كعدو ومضاد للّه. لكنه لبَّس قناع الناصح والمرشد والمحامي لكي يجعلهما يقبلان شرَّه بسهولة، الأمر الذي نجح في تحقيقه. إنه لم يرد أن يفرض عليهما أية فكرة سوى عصيان اللّه الخالق.

الإيمان بالتواكل والقدرية بينْ تعاليم اللّه وحِيَل الشيطان:

لا يمكن لمَنْ يؤمن بالتواكل والقَدَرية أن يربح السماء، لأن الشيطان هو الذي ينشر هذا التعليم، وهو يحاول أن يقنعنا أن نؤمن إيمانًا مضادًا لكل ما يعلِّمه لنا اللّه. ولنأخذ هذه الآية كمِثال:

يقول اللّه: «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلَّم» (إش١: ١٩-٢٠). اللّه يقول «إن شئتم» و«إن أبيتم (لم تريدوا)» تاركًا لنا فرصةً لنتَّبع بحريتنا

حياة الفضيلة أو الشر، حسب إرادتنا.

❖ الشيطان يقول: لا نستطيع أن نهرب من المكتوب علينا سواء أردنا أو لم نرد، بينما اللّه يقول: «لو شئتم وسمعتم تأكلون خبز الأرض».

❖ إن فكرة القَدَرية تقول: لو أردتم هذا فلن تفيدكم إرادتكم شيئًا، إذا كان ما تريدونه ليس مكتوبًا وليس مفروضًا عليكم، بينما اللّه يقول: «إن أبيتم تؤكلون بحد السيف».

❖ الإيمان بالقَدَرية يقول: إن لم نُرِد فلابد أن نخلص تحت أية ظروف، إذا كان مكتوبًا لنا أن نخلص.

❖ هل هناك ما هو أوضح من هذه الحرب التي يحرِّض فيها تلاميذ هذا الشرير، بلا حياء، المؤمنين ضد الكلام الإلهي؟

كيف يواجه أعضاء المسيح وأبناء الكنيسة الإيمان بالتواكل والقدرية؟

ليس غريبًا أن تقبل الشياطين هذه الأفكار الخاطئة، وأيضًا البشر الذين يشبهون الشياطين، أقصد عبدة الأصنام. لكن الأسوأ مِن الكل هو أنت يا مَن لديك تعليم إلهي وخلاصي، كيف تحتقر تعليمك هذا وتسرع إلى الضلال الذي يُسبِّب هلاكًا للنفس؟ «لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج، ألستم أنتم تدينون الذين مِن داخل» (١كو٥:١٢).

أنا أتحدث معكم أنتم أعضاء المسيح وأبناء الكنيسة يا مَن تعلمتم في بيتكم الأبوي واستمتعتم بالتعاليم السماوية حيث كُرِّمتم بكرامة عظيمة جدًا. إنني أتضايق وأبكي وأنتحب لأنه حقًا يستحق الرثاء مَنْ يسقط في خطايا لا تستحق المغفرة.

أخبرني، أي مغفرة تكون هناك عندما يُعَلِم الله تعليم، بينما يقول الشياطين عكس هذا التعليم، وأُناس الله يعتبرون تعاليم الشياطين أكثر صدقًا؟

ولكي تتغلب على فكرة الإيمان بالقَدَرية عليك أن تراعي ما يأتي:

❖ افحص نوعية النصيحة، هل هي مِن الله أم مِن الشيطان؟ الأولى تدعو للفضيلة، والأخرى نصيحة شيطانية وتدعو للشر والخطية.

❖ الله يحبك كثيرًا حتى بذل ابنه الوحيد لأجلك، أمَّا الشيطان فيكرهك جدًا حتى أنه يحاربك باستمرار بكل الوسائل. إنه ليس فقط لا يمدك بشيء صالح، بل أنه يحاول أن يحرمك من البركات التي تأخذها من الله.

❖ الله يسعى ليجعلك في حالة سامية مثل الملائكة، بينما الشيطان يحاول أن يجعلك أكثر وضاعة من الحيوانات ويقنعك أن تسجد لها.

❖ الله يجذبك إلى ملكوت السماوات ونحو كرامة

عظيمة. بينما الشيطان يريد أن يحرمك مِن هذه الكرامة التي أُعطَيْت لك، ولهذا لن يهدأ حتى يضرك.

الله أعطانا روح التمييز:

إن تعاليم الله أوضح من الشمس بالنسبة للذين يفكرون ولو قليلاً. فهي تحتوي بوضوح على الفضيلة والخلاص. أمَّا التي يعلم بها الشيطان فتحتوي على الشر. إن لم تستطيعوا أن تميِّزوا، فعلى الأقل تَعرَّفوا على ما يؤدي إلى الخلاص وما يؤدي إلى الهلاك وذلك من خلال التعاليم.

ألا يكون مِن الغباء أن نقصر استخدام هذا المنهج على مجالات أخرى دون مجال التعاليم الإلهية؟ على سبيل المثال عندما يعطيك الطبيب دواءً، فإنك لا تفحصه، بل تقبله على أنه مفيد لصحتك. وعندما يُقدِّم لك أحد السحرة هذا الدواء، فإنك لا تفحصه أيضًا ولكنك تعتبره سُمًّا. ولكنك لا تستخدم هذه الطريقة مع الله على الرغم من أن الاختلاف بين الله والشيطان أكثر من الاختلاف بين الطبيب والساحر بالقَدْر الذي لا يمكن التعبير عنه بالفكر ولا بالقول. إن الاختلاف بين الطبيب والساحر الذي صنع دواء ليس كبيرًا للغاية ولكننا نستطيع أن نميز بينهما، أمَّا الذين يعلموننا، فالاختلاف في تعاليمهم كبير جدًا مثل الاختلاف بين الله والشيطان، فكيف لا

نفحص ما نسمعه لكي نتعلم أن هناك تعليم يُخلّص وآخر يُهلِك ؟

أرجوكم لا نصير أكثر غباءً من الحيوانات ، بل نبتعد عن كلمات الشيطان «فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة» (١كو١٥ :٣٣). وتدفعني هذه الآية لأن أطرح سؤالاً: إذا رأيت مكانًا تتفشى فيه أوبئة وأمراض، ألا تتجنب السُكنى فيه على الرغم من آلاف الأشياء التي قد تجذبك إليه، بل تُفضّل الحرص على سلامة صحتك على أي شيء آخر. ولكن عندما يكون بعض الناس مملوئين أفكارًا مريضة، لا تدمر الجسد بل النفس وتجعلها شريرة، فإنك لا تبتعد عنهم؟! ينصحك حكيمٌ ألاَّ تتوقف لحظة واحدة إذا تقابلتَ مع مثل هؤلاء الناس، بل إذهب سريعًا بعيدًا فإن «المتراخي في عمله هو أخو المُسرِف» (أم١٨ :٩).

التعاليم الخاطئة أكثر ضعفًا من خيوط العنكبوت:

إننا ننصحك بهذا كله ليس لأننا نخاف تعاليمهم؛ لأن الذين ينادون بها يُعتبَرون بالنسبة لنا - بنعمة الله - أكثر ضعفًا من خيوط العنكبوت طالما أن إيماننا مؤسَّسٌ بقوة. وبقدر ما يقولونه لنا ويُتعبُون آذاننا مرات كثيرة بقدر ما يبدون بالأحْرَى مضحكين، ومثل الذين أصابهم الجنون. إلاَّ أننا نخاف بسبب ضعفُكم. وهذا لا أقوله ضدكم ولكن ضد

أولئك المذنبين الذين قبلوا مثل هذه الأفكار. لذلك فإن بولس المنتصر على الجميع ليس فقط من جهة التعليم، بل في المناقشات الكلامية مع المختلفين معه في الإيمان، ينصح تلميذه تيموثاوس بأن يبتعد عن التعاليم الغبية (٢تي ٢ :١٦).

لنقضي زمن حياتنا السريع فيما هو ضروري لخلاصنا:

إن زمن حياتنا سريع الانتهاء، وهو بمثابة فرصة سريعة وثمينة للخلاص. فعندما نقضي هذا الزمن الحاضر - والذي أُعطى لنا لكي نتعلم ما هو مفيد - في سماع أقوال تافهة وغير مفيدة بل ضارة، فمتى سنجد زمنًا آخر لنتعلم ما هو ضروري؟ إن حياتنا وإن بدت لنا ستستمر طويلاً فينبغي أن نكرسَها لما هو مفيد.

«لا تقبل أن تُجرَح، حتى لا تضيِّع زمنك كله في شفائك من جرحٍ أصابك به آخرون».

أمِّن صحة نفسك بالكتب الإلهية، وإذا أراد أحد أن يقول لك شيئًا آخر فأغلق أذنيك وابتعد سريعًا.

وكما أنه يكون هناك خطرٌ أن تجلس وسط تجمُّعٍ يضم أناسًا متمردين على مَلِكٍ لتسمع ما يقولونه، حتى لو كنتَ أنت نفسك لا توافقهم على ما يقولون، فهكذا عندما يُقال شيءٌ ضد الله ويُنادَى بتعاليم مليئة بالافتراءات ضده وتكون أنت في وسط هؤلاء المجدِّفين رافضًا أن تتركهم، فهناك خطرٌ أن تعتادَ

على سماع اللسان المجدِّف، وعدم محاولة إغلاق هذه الأفواه الجاحدة.

وكيف تصلي بجرأة للّٰه وأنت تجلس مع الذين يكيلون تُهمًا ضده؟ أرجوك ألاَّ تفعل ذلك. هذا الكلام لا أقوله للحاضرين فقط، بل للذين ليسوا معنا؛ لأنه إذا كنتم غير مسؤولين عن هذا الشر إلاَّ أنكم ستواجهون الذين تعرفونهم ممن يعانون من هذا المرض. عليكم أن تواجهوا هؤلاء بكلام أكثر مما قلتُه لكم حتى تستأصلوا الشر من جذوره. ليت ذلك يتحقق بطلبات وصلوات القديسين وأحباء اللّٰه؛ لأن كلامنا لن يفيد شيئًا إلاَّ بقوة صلواتهم حتى نتخلص كلنا وكل الذين ينتمون إلى ملء الكنيسة من كل الأمور الشريرة ونقف بشجاعة أمام منبر المسيح الذي له المجد آمين.

المقالة الثالثة

اعتبار القدرية مبرِّرًا لارتكاب الخطايا، يُعَدُّ غباءً عظيمًا

أعرف يا أحبائي أنني تحدثتُ قبلاً عن موضوع القَدَرية، ولكنني لا أجد ما يمنعني عن أن أتحدث مرةً أخرى في هذا الموضوع، ليس بسبب قوة هذا المرض ولكن، لأن لامبالاتكم تُعتبرَ من قبيل عدم الإيمان، وتجعل الأمراض الصغيرة تأخذ أكثر من حجمها الطبيعي بحيث تبدو كما لو كانت كبيرة. إن الأمر واضحٌ تمامًا حتى لفاقدي البصر، إن المؤمنين ليسوا في حاجةٍ إلى كلام، ولا إلى تعاليم لكي يتجنبوا هذا الشر. وكما أن الأجنبي الذي يعيش في بلادنا وفق قوانيننا ويخضع لملوكنا لا يحتاج لأن يقنعه أحد كل يوم بأنه غير مسموح له أن يسلك بطريقة غريبة، لكننا نكتفَي فقط بمنعه عن فعل ما يناقض القوانين، فهكذا مع الخطايا الظاهرة يُكتفَى فقط بمنعها عن طريق التحذير من العقاب. وعلى سبيل المثال فإن الزنَى والسرقة لا تحتاج لتعاليم تُثبت أنها خطايا، لذلك فإن موسى

واضع الشريعة لم يشرح ذلك لأن عقلنا يدركه، ولكنه اكتفى بأنْ أمرَ بمنع ارتكاب مثل هذه الخطايا قائلا: «لا تزن»، «لا تقتل» (تث٥: ١٧-١٨).

ولكنه عندما يتحدث عن أعمال الظلمة الموجَّهة ضد الأرامل والتجني على الضعفاء، فإنه كان يشرح قائلا: «الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر» (تث١٠: ١٨-١٩). أيضًا يقول «اذكر يوم السبت لتقدِّسه» (خر٢٠: ٨) ثم يشرح هذه الوصية.

الإيمان بالتواكل والقدرية خطية واضحة مثل السرقة والقتل:

إذًا فإنَّ رَفْضَّ الإيمان بالتواكل والقَدَرية ليس محتاجًا للشرح، ولكنه يُوضَع في عِداد الأمور الواضحة. فكما أن تحريم القتل والزنى يُعتَبر أمرًا واضحًا لأنه شر عظيم، هكذا من الواضح جدًا أيضًا أن الإيمان بالقَدَرية والتواكل يُعدُّ أمرًا شريرًا ومحرمًا. ولا تظن أنه بسبب أن كثيرين يؤمنون بالقَدَرية فإنه يُعتَبر غير محرَّم، فإن كثيرين أيضًا يرتكبون جريمة القتل رغم أنَ القوانين تحرمه.

إذًا فَكوْنك تؤمن بالقَدَرية، فهذه خطية غير مسموح بها مثل القتل الذي تحرِّمه حتى نواميس عبدة الأصنام. انظر مدى خطأ ما يصدر عن الإيمان بالتواكل: إذا زنى رجل مع امرأة وقُدِّم للمحاكمة

فيقول إن هذا ليس ذنبي أنا بل القَدَر أوقعني في هذه الخطية. لقد أردتُ أن أضبط نفسي، لكن القَدَرية أجبرتني على الخطية، ألا يُدان مثل هذا وتصدر ضده عقوبة قاسية على الرغم من ذلك التبرير المضحك؟ هل سيُصفَح عنه؟ لا على الإطلاق. وبالنسبة للذين يؤمنون بالقَدَرية، فليس لديهم مبرِّر أفضل من أن كل شيء يسير بالقَدَر وليس بإرادتنا. فإذا كانت إرادتنا أقوى من القَدَرية عندئذ لا يوجد ما يُسمَّى بالقَدَرية، وهذا ليس معقولاً حسب رأيهم. ولذلك فبحسب رأيهم أيضًا فمن الضروري تنفيذ أوامر القَدَرية تحت أية ظروف. وبذلك عبثًا يُحاكَم هذا المتَّهم، بل يجب أن يُبَّرر. ولكننا لم نسمع قط عن متَّهم أدلَى أمام المحكمة بهذه المبرِّرات بهدف أن يبرِّر نفسه. وهكذا فالقَدَرية هي بدعة شيطانية وخرافة وهذيان.

وأمَّا عن استخدام القَدَرية كمبرّر يجلب الظلم، فيقول الذين يؤمنون بالقَدَرية إنه عندما يرتكب أحدُ فعلاً شريرًا فيكفي أن يبرهن أمام القضاء أنه كان مُجبَرًا وعندئذ لا تُحسَب عليه جريمة. فهناك رؤساء قد أُدينوا لارتكابهم جريمة قتل ونالوا عقابهم بينما المواطنون الذين ساعدوهم على تنفيذ الجريمة، وكانواالأداة التي أستخدمت في الجريمة قد تبرَّروا ولم يُقدَّموا للمحاكمة ولم يُعتَبَروا مسؤولين عن هذا الفعل الشنيع لأن الإجبار الناتج من سيطرة

سلطة الرئاسة قد برَّرهم. ويتساءل المؤمنون بالقَدَرية قائلين إذا كان البشر يغفرون للذين أُجبروا بواسطة إنسان مثلهم على ارتكاب جريمة، فهذا الذي أُجبر من القَدَرية ألاَ يجب أن يغفروا له بالأحرى إذ أنه من المستحيل الهروب من هذه القدَرية ؟ ويقولون أيضًا إن سلطان القَدَرية لا يُهزَم حتى لو ذهب المرء إلى الصحراء أو أبحر إلى مكان بعيد فإنه لن يهرب من مخططات القَدَرية.

من الواضح أن الذي يأخذ القَدَرية كحُجَّة لكي ينجو من العقاب، فإنه لا ينجح أبدًا، فلا يفلتَ المجرم من العقاب إذا دافع أمام القضاء عن نفسه معلِّقًا ارتكاب جريمته على القَدَرية. كذلك العبد في بيت سيده والتلاميذ في مدارسهم، ولا أحد في أي مكان آخر يمكن أن ينجو باتخاذ القَدَرية مبرِّرًا لأخطائه.

إن الذين يؤمنون بالقَدَرية يتخذونه كمبرِّر لكي يبرِّروا أخطاءهم، أما بالنسبة لغيرهم فإنهم يرفضون السماح لهم بأن ينجوا من العقاب عن طريق استخدام ذريعة القَدَرية. وهكذا نراهم مقتنعين بالحق أي أن القَدَرية تعتبر خرافة.

ليتنا نحمي أنفسنا من مرض الإيمان بالقَدَر:

بحسب رأيي فإن الشر العظيم ليس هو ارتكاب الخطية فحسب، بل ما يفعله المرء بعد ارتكاب

الخطية من تَجَنّي على الله وإلقاء المسئولية عليه، وهذا الأمر يشجِّع عليه الشيطان حتى نكون لا مبالين تجاه الفضيلة، فنجدِّف على الله ويجعل النفس خاملة حتى لو أخذتْ تجاهد لاكتساب الفضيلة؛ لأن إقناعها بأن السقوط في الشر أمر حتمي ولا يتوقف على ممارسة الأعمال النسكية مِن عدمها ، هذا يؤدي إلى تثبيط عزيمة هذه النفس.

فعندما يتعلم المرء بأنه إذا زنى أو قتل أو ارتكب أمرًا مشينًا لن يكون مستحِقًا للَّوم والتأنيب، فسوف لا يتوقف عندئذ عن الانغماس في الرذائل وابتداع النمائم والتَجَنّي على العناية الإلهية حتى يصير هو نفسه نميمة. أخبرني هل يوجد شر أسوأ من هذا؟

نصائح ختامية:

إذًا فلنهربْ يا أحبائي من عبادة الأصنام هذه التي هي في الواقع تشبه ما قيل في العهد القديم «موتٌ في القِدر»[٣].

إن من يأخذ ولو شيئًا يسيرًا مما في داخل هذه القِدر أي الآراء الفاسدة، فسوف يموت إن لم يسرع إلى التعليم المستقيم حتى يستمتع بالصحة الروحية.

وحتى لا نندم بلا فائدة بعد رحيلنا من هذا العالم وينتهي زمن التوبة، يجب على الذين يعانون من هذا

٣- يقتبس ذهبي الفم هنا ما جاء في (٢مل٤: ٣٨ـ٤١) عندما صلى أليشع النبي على القِدْر التي كان بها سُم قاتل.

المرض أن يتوبوا ويُجدِّدُوا ذواتِهم مرة أخرى.

على الذين احتفظوا بصحتهم جيدة بعيدًا عن هذا المرض أن يحافظوا على ذواتهم طاهرة ويقدموا العون للآخرين الذين فقدوا نفوسهم.

إذا كنا نظهر اهتمامًا وعناية بالذين يصابون بأمراض جسدية ألا نفعل ذلك عندما يتعلق الأمر بمرض النفس. فلنُصَمِّمْ على أن نكسب أخانا إلينا لأنه عضو في الشركة لأنه ينتمي إلى الكنيسة جسد المسيح.

علينا أن نسعى لطرد الكلاب والذئاب الخاطفة.

الكنيسة هي مسكن للرب، والمؤمنون فيها هم الأواني الثمينة. فعندما ترى شخصًا مِن الخارج يريد أن يَسرِق شيئًا خِلسة ولم تسرع لإيقافه عن طريق إخطار المسئولين فأنت ستكون مُذنِبًا تجاه نفس أخيك. أقول لك هذا لكي أجعلك تعتني بخلاصك وبنفس القَدْرِ بخلاص الآخرين.

هكذا نستطيع أن نكون مستحقين للخيرات التي وعدنا بها الله بواسطة نعمة المسيح الذي يستحق المجد إلى الأبد آمين.

المقالة الرابعة

التعليم المستمر ضد الإيمان بالتواكل والقدرية، ضروري للمؤمنين

يقول بولس الرسول: «كتابة هذه الأمور إليكم ليست عليَّ ثقيلة وأما لكم فهي مُؤمّنة» (في٣:١). فإذا كان يتحتم على بولس الرسول أن يستمر في الكلام والتعليم عن أمور سبق وتحدث عنها مرارًا، بولس الرسول الذي كان يُعلِّم بنعمة الروح القدس واستطاع أن يطرد أعداء الإيمان بأمر منه، وهو الذي شفى آلام الجميع وكان يحظى باحترامهم، والذي كان الجميع يسمعونه وكأنه ملاك نزل من السماء أو حتى مثل المسيح نفسه.

بولس الرسول هذا كان في حاجة أن يكرِّر تعليمه عن موضوع واحد؛ إذًا لا ينبغي أن يتضايق أحد ويظن أننا نزعجه عندما نتحدث عن نفس الموضوع الذي تحدثنا عنه من قبل، وهو رَفْض الإيمان بالتواكل والقدرية .فإنه إن كنتْ أثق أنكم ستتخلَّصون من مرض نفوسكم عندما تسمعونني أتحدث مرارًا عن

موضوع واحد، عندئذٍ سوف أستمر في حديثي بلا كلل حتى تصيروا آمنين ولا تسقطوا ثانيةً في نفس الأخطاء.أيضًا أُكرِّر إرشادي بسبب أن لديَّ شك في وجود بقايا الشر عند بعض السامعين.

كيف نستطيع أن نتخلص من الإيمان بالتواكل والقدرية؟:

أولاً: بالصلاة والحديث المستمر مع الله.

ثانيًا: بالتفكير بطريقة متعقلة.

لأنه إن تَوقَّعتَ الأمور المستقبلية ورأيتَ الأمور الحاضرة، ثم كَوَّنتَ رأيًا صائبًا يجمع بين الاثنين معًا فلن يقترب الشر من نفسك.

السعادة أو التعاسة لا تحدث بالصُدْفة:

عندما ترى شخصًا يغتني بدون استحقاق، فلا تظن أنه يستحق الحسد ولا تتجنَّى وتتطاول على العناية الإلهية. ولا يدفعك ذلك إلى الظن أن أمور هذا العالم تخضع للصُدْفة وتحدث بلا هدف، ولتوضيح ذلك نذكر هذا المَثَل:

مثل لعازر والغَني:

يوضح هذا المثل أنه كان هناك شخص لديه أقل مما كان يحتاج بكثير، وكان هناك أيضًا رجلاً غنيًّا جدًا. تذكّرْ في هذا المثل إلى أي مدى وصل الغني إلى هذه الرفاهية على الرغم من أنه كان فظًّا وقاسيَ

القلب. وتأمل كيف كان لعازر وهو الغَني الحقيقي سقط في معاناة من الفقر المدقِّع وكان محرومًا حتى من الكفاف وظل يصارع المرض والجوع إلى حدٍّ جعل الكلاب تحزن عليه، بينما الغَني لم يشفق عليه ولو بكسرة خبز.

هل اعترض لعازر المسكين على الله وشك في عدله؟:

لعازر المسكين لم يغضب ولم يَقُلْ كلمة تذمر ولم يعترض على الله ولم يتطاول على العناية الإلهية، ولم ينسب للقَدَرية كل ما حدث له. ولم يتحدث مع نفسه ولا مع أحد قائلاً: «أنا بدون أن أرتكبَ أيَّ شرٍّ أُعاقَبُ بقسوة وأُعانى من متاعب قاسية للغاية، إنني أتحللُ من الجوع وأنهارُ تحت وطأة المرض العِضال وأنطفيء في هذه الحالة البائسة، بينما ذاك الغني يتمتع بالحياة وهو يرى مصائب الآخرين ويَسْخَر منى». ولم يتطاول لعازر على الله وظن أنه قد جعل هذا القاسي القلب سيدًا ذا غنى فاحش، وبقي هوالذي لم يضايقه ولا بكلمة صغيرة متروكًا في هذه الآلام المبرحة لكي يقهره. لم يَشُكَّ لعازر في عدل الله، ولم يتساءل كيف يمكن أن يتفق كل ما يحدث مع وجود العناية الإلهية؟

لعازر المسكين لم يتفوه بِمِثْل هذه الكلمات.إذن، كيف تجري الأمور عكس ما ينبغي أن تحدث؟ إننا نرى الذين يعانون يشكرون الربَّ على كل شيء،

وأنت يا مَنْ هو بعيدًا عن هذه التجارب تجدف على الله لأجل أمور يشكر آخرون الله عليها.

كيف تفكر عندما ترى بارًا يتألم؟:

عندما ترى بارًّا يتألم تذكَّر هذا المثل؛ لأن لعازر المسكين كان بارًّا بدرجة كبيرة، وقد نال مكافأة عظيمة لأجل صبره على آلامه. لقد إستحق أن يتمتع بعد الموت بالراحة في الموضع الأول في الفردوس، ونال تكريمًا وكرامةً بالوجود في حضرة أبينا إبراهيم. عندما ترى فضائل لعازر المسكين الذي لم يستطع أن يذوق حتى كسرة خبز تسقط على الأرض، عندئذ عليك أن تتأمل فيما يُعَتَبر محببًا جَدًا لله أكثر من نفس تعاني بكل قسوة، ولكنها تصبر جيدًا على المعاناة.

وماذا عندما ترى خاطئاً يتمتع في هذه الحياة؟:

هل يَصِحُّ أن تضطرب بسبب أن شخصًا اغتنى بدون استحقاق، ويفرح أكثر من كثيرين.

❖ ألم تسمع المُرَنِّم يقول:«لأنه عند موته كله لا يأخذ. ولا ينزل وراءه مجده. لأنه في حياته يبارك نفسه، يحمدونك إذا أحسنتَ إلى نفسك»(مز٤٩: ١٧-١٨).

❖ ألم تسمع النبيَّ الذي صرخ بشدة قائلاً: «كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل»(إش٤٠: ٦).

❖ ألم ترَ أن نفس حقيقة الأشياء تتفق مع ما قاله الأنبياء؟ ألم ترَ أن عاقبة الأمور والخبرة تؤكد كل ما قيل.

❖ هل سمعتَ أيوب الذي قال نفس هذا الكلام: «عريانًا خرجتُ من بطن أمي وعريانًا سأعود إلى هناك» (أي١ :٢١)

❖ أسمعتَ بولس الذي قال نفس الحكمة: «لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (١تى٦ : ٧).

وهل بعد كل هذا تحسد إنسانًا لا يستطيع أن يأخذ معه شيئًا من الأشياء التي كان يتوقع أن تساعده يوم الدينونة؟

إنني أتساءل: هل هناك ما يدعو للأسف الكبيرعلى إنسان يحيا وسط مُتَعٍ شتَّى ثم يرحل أكثر فُجرًا من الجميع؟ وعلى الرغمِ من ذلك فإنك تُصِرُّ أن تعتبر مَن يستحق الحَسَدَ هو أحد أولئك المترفين الذين يفتخرون وسط الأسواق بزهوٍ.

أراك أيضًا تحسد مَنْ يفرح بالكرامة العظيمة في أرضٍ غريبة، ويقوم بإشباع الذين يتملَّقونه، وعندما يعودُ إلى وطنه لا يتبقَّى لديه شيء ويعود خاليِ الوفاض بلا ثروة أو مجد، بل ويصبح منظرْه أسوأ من منظرِ المتسوِّلين.

عليك أن تفكر بهذه الطريقة عندما ترى المتمتِّعين بالغِنَى في هذه الحياة.

المجازاة وطول أناة الله:

انتظرْ النهاية وعندئذ سوف ترى أن كل واحد وإن كان فقيرًا أو غنيًّا سيكافأ حسب استحقاقه. لا تقلق ولا تضطرب قبل أن يتسلَّمَ كل واحد ما يستحق سواء عقاب أو تيجان. عليك ألاّ تتطاول على اللّه أو تتهمه بالظلم عندما ترى الناس يرتكبون خطايا متنوِّعةً ما بين سرقة وقتل وغير ذلك. فلو أن اللّه يبرِّئ ويمنح الحرية لهؤلاء الخطاة ثم يعاقِبُ البارَّ، لربما كان من الممكن أن يُعتَبَر هذا الإلهْ العادلُ إلهًا ظالمًا. ولكن يحدث أنك تندفع وتدين اللّه مُسبقًا لأنك ترى المذنبين لم يُسلِّموا بعد للعدالة الإلهية، ولم يأتِ وقت الدينونة ولم يطلب اللّه حسابًا من هؤلاء. وقد تقول إنه يجب أن يُعاقِبَ الخطاةَ هنا على الأرض. وأنا أنصحك بأن تفكر في حياتك أيها الإنسان وعندما تفحص ضميرك فسوف تُغيِّر رأيك، وستقتنع وتقبل طول الأناة التي يُظهرها اللّه محب البشر.

لو كان يجب أن يُعاقَب كلَّ واحد لأجل خطاياه عِقابًا مُباشرًا فور ارتكابها، لكان من الممكن أن يختفيَّ الجنس البشرى منذ زمن بعيد «مَن يقول إني زَكَيَّتُ قلبي تطهرتُ من خطيتي» (أم٢٠: ٩).

وعندما تغضب بسبب طول أناة الله تأملْ بدقة خطاياك، وعندئذ ستشكره لأجل احتماله، ستحبه أيضًا لأجل صبره.

طول أناة الله تعلمنا أن نتشبه به في هذه الصفة:

ألمْ تسمع أن شخصًا[٤] كان مديونًا بأموال كثيرة وبَذَّر كل ثروة سيدِّه في الوقت الذي كان مستعدًّا فيه أن يبيع حتى زوجته وأولاده لِيَفِيَّ دينه، ولكنه سقط على قدميْ سيده فتخلَّص من دَيْنِه وغُفرَله. ولكن إذا قلتَ إن مديونًا آخر سُلِّم إلى المعذِّبين؛ فإني أجيب عليك بأن كثيرين ممن يعرفون هذا المثل يفهمون لماذا صار الأمر هكذا. وعليك أن تعرف أن ما حدث بالنسبة للمديون الثاني إنما حدث ليكون دافعًا لإظهار المحبة.لأنه بالنسبة إلى المديون في المثل الأول نرى أن سيده رَحَمَهَ وتركه حرًّا. وفى الحالة الثانية رَحَمَهُ أيضًا ولكنه ألقاه في السجن.وكما أنه سامح المديون الأول لكي يساعدَه، هكذا أيضًا بالنسبة إلى الثاني، فقد صنع معه ما صنع لكي يرَّبيه ويعلِّمَه ألاَّ يكون قاسيًّا وغير رحيم.لقد سُلِّم إلى المعذِّبين لكي يقتلع الشرَّ من نفسه مثلما يفعل الطبيب الماهر.فإن كان مرضك لا يفارقك بدواء بسيط فيكون هناك اضطرار لإجراء جراحة.

لاحظوا يا أبنائي أنه بينما كنتُ أكلِّمُكم عن

٤- يشير القديس ذهبي الفم هنا إلى مثل العبد الشرير (مت ١٨: ٢٣ـــ٣٤).

كل هذا، طَرَأَتْ على ذهني هذه الفكرة: ليس فقط الشراهة والسلب يُعتبران سببًا للعقاب، بل إن عدم إظهار رحمة تجاه أخ لنا في الإنسانية يستوجب الدينونة.

إن العبدَ لم يُسلَّمْ إلى المعذِّبين بسبب أنه أخذ ما ليس له ظُلْمًا، بل بسبب أنه طلب ماله بطريقة قاسية غير إنسانية. إذا كان سيدك قد منح لك الدَيْنَ كي يُظهِر لك محبتَه؛ فإن هدفه من ذلك أن يجعلك أنت تتشبه بالرحمة الإلهية.

ولكنه أحيانًا يُقوّمك بطريقة العقاب والإدانة عندما لا تفعل مثله.

طول أناة الله على سدوم وعمورة:

إن الله لم يُلْقِ النارَ على سدوم بمجرد أن فعل أهلُها الشرَّ أمامه، ولا أنه دمَّرَ تلك المدينة على الفور؛ فماذا فعل؟

١. قال: «صراخ سدوم وعمورة قد كَثُرَ وخطيئتهم قد عَظُمَت جدًا» (تك١٨: ٢٠).

٢. لم يكتفِ بذلك بل قال: «أنزل وأرى» (تك١٨: ٢١).

٣. لم يتوقفْ عند ذلك، بل أرسل ملاكه لكي يُريَك كم كان شر المدينتين عظيمًا لكي لا يتجرَّأ أحدٌ - حتى لو كان بلا حياء - أن يتفوَّهَ بكلامٍ سيِّءٍ

ضد اللّه مثل إنه كان يجب عليه أن يفنيَّ هؤلاء الغرباء، القساة الخارجين عن الناموس، هؤلاء الذين يجهلون العدل والمملوئين شرًّا.

فهل يوجد مَنْ يشبه اللّه في محبته ورأفته؟

مرات كثيرة كان يقول للشعب:«يا شعبي ماذا صنعتُ بك، وبماذا أضجرتُك. اشهدْ عليَّ» (مي٦: ٣).

وأيضًا في إرميا يقول: «ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً»(إر٢ :٥).

ولم يفعل ذلك بالنسبة للأمم والمدن فقط، ولكنه فعل ذلك مرات كثيرة بالنسبة لإنسان واحد. فبالنسبة لداود أُدين عن طريق نبوة ناثان الكاهن. وبالنسبة ليونان الذي رفض المناداة بالتوبة لأهل نينوى والذي لقَّنه اللّه درسًا عن طريق اليقطينة: «فقال الرب أشفقتَ على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا رَبيتَها التي بنْت ليلة كانت وبنت ليلة هلكتْ، أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة» (يون٤: ١٠-١١).

حياة الإنسان لا تنتهي بالموت. الإيمان بالحياة الأبدية:

إن البعضَ الذين يُعتَبرون عبيدًا للأشياء الزائلة يتذرَّعون بفكرة أنه لا توجد حياة بعد الموت،

وآخرين يقولون إن هناك حياةً، ولكنهم يُفَضِّلون الحياة الحاضرة على الحياة الآتية. يقول الذين لا يؤمنون بالحياة بعد الموت، إن نفوسنا ستنتهي ولا يمكن أن نكون مسئولين عن أي شيء.

إني أرى أنه، ربما كان، من المضحك أن نردَّ على هذه الآراء، مثلما يكون من المضحِك أيضًا أن تطلب شيئًا من الذين فقدوا عقولهم وأصيبوا بالجنون. لأنه لو شكَّ أحدٌ في وجود النهار أي في كيف يكون في اليوم نهارٌ، ثم بدأ يشكُّ في صحة آراء مَن يعترفون بهذا النهار، مثل ذلك الإنسان لا يمكن أن نقنعه بالكلام ولا يمكننا أن نجعله يصل إلى الاقتناع بالحقيقة. ولكننا سوف نتحدث - لأجل محبتكم - بكل ماتسمح به نعمة الله.

الرد على الذين ينكرون وجود حياة بعد الموت:

أخبرني أيها الإنسان يا مَنْ تؤكد إنه لا يوجد شيء بعد هذه الحياة، على ما تستند في رأيك هذا. علينا أولاً أن نُقرَّ بما يأتي:

إن الشيطان الذي رفض الحق من قبلُ، هو الذي سلَّم البشر هذه التعاليم الشريرة، وأسقطهم في خطية احتقار العفَّةِ والبرِّ وغير ذلك من الفضائل وجعلهم أنانيين، ويعيشون بضمير خاطيء، ويطلبون إلقاء المسئولية على غيرهم، بينما كان يجب عليهم أن يندموا على حياتهم التي يسودها الإيمان بالتواكل

والقَدَرية الذي يجعلها مليئةً بالتناقضات.

إنه حتى الذين يعبدون الأوثان لا ينكرون الحياة بعد الموت على الرغم من كثرة الجدال والثرثرة التي تصدر عنهم. وإذا تتبعَّت ما يؤمنون به فستجد أنهم يقبلون فكرة وجود حياة بعد هذه الحياة، ويؤمنون بوجود دينونة وهاوية وعقوبات ومجازاة وغير ذلك.

لو سألت اليهود والهراطقة أيضًا، بل وأيَّ إنسان، فسوف تجد أن كل هؤلاء يجعلونك تحترم التعليم الخاص بالحياة بعد الموت حتى لو كانوا جميعًا يختلفون في أمور أخرى. إن الجميع يوافقون على وجود الحياة الأخرى ووجود دينونة لكل ما يحدث. لكنك للأسف لا تريد أن تؤمن بأيٍّ من هذا كله، وتسلك بلا حياء.

الذي يؤمن بعدم وجود أي شيء بعد الموت، لابد له أن يعترف أنه لا يوجد الله أيضًا. أرأيتَ كيف يسقط هؤلاء من فِكر خاطئ إلى آخر؟... إنه لو لم يُجَدْ شيء بعد الموت عندئذ لا يكون الله موجودًا. ولكن إذا كان الله موجودًا، فلابد أن يكون إلهًا عادلاً ويعطى كل واحد حسب استحقاقه.

إن كثيرين يَسعدون ويُكرَّمون هنا في هذه الحياة بدون استحقاق، بينما آخرون يحيون بالفضيلة ويعيشون في معاناة وعذاب. فأين يكون العدل عندئذٍ؟ هناك حتمية لوجود زمن ما بعد الموت

يُكافَأ فيه كلُّ واحد حسب أعماله، طالما أن هذا لا يتحقق في هذه الحياة. وإن لم يُكافأ كل واحد حسب عمله عندئذ سيكون الله - حسب رأيك - ليس عادلاً، ولو كان الله كذلك عندئذ لا يمكن أن يكون إلهًا. وهذا تجديف.أرأيتَ إلى أيٍّ تجديف يقودُنا هذا الكلام!!

دعنا نحتكم لعقولنا أيها الأحباء، فهناك مَنْ لا يعترفون بالله. لا ينبغي أن يحدث هذا، ولكن إن أخطأتَ فلا تتقدمْ إلى الخطية الثانية، ولكننا تقدمنا للأسف إلى الخطية الثالثة والرابعة عندما نثقِّل أنفسَنا بمثل هذه التعاليم. أما أنتَ فإذا أخطأتَ. فعليك أن تدعو الله المحسِنَ والمحبَّ للبشر والصالح والطيِّبَ.

ليتنا نمجد الله ونعبده قدر استطاعتنا، لأنه مستحق بالحق لكل ما نستطيع أن نقدم له كل المجد اللائق به. علينا أن نسهرَ على أنفسنا في هذه الحياة، ونؤمن بأن الله هو فوق الكل وإن عنايته تقود وتدبر الكل، وعندئذ سيكون من الممكن. عندما نرحل من هذا العالم. أن نجد الخيرات التي قد وعدنا بها والتي ليتنا نستحقها جميعًا بنعمة المسيح الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

المقالة الخامسة

النتائج المحزِنة التي يجنيها الإنسان عندما يؤمِن بالتواكل والقدرية

أيُّ تعليم يا عزيزي يكون أكثر خُبثًا حقًا، ومملوءً بالأكثر بفساد لا يُشفَى، مثل الفساد الذي يملأ التعليم بالتواكل والقدرية. لقد تسلَّلَ هذا التعليم إلى نفوس أولئك الذين قبلوا بغباء فكرة التجديف والدمار، وقَبلوا أن ينسبوا إلى الله أمورًا لا يجرؤ أن ينسبها أحدٌ، حتى على الشياطين. لقد جلب هذا التعليم ارتباكًا في حياتهم وملأ كل شيء بالفوضى والاضطراب العظيم.

خطورة تَبَنِّي تعليم التواكل والقدرية:

+ يغيِّر ويُبطِلُ كل ما أعطاه الله لنا والطبيعة بواسطة الأنبياء والقديسين لكي نتعلم ونُقوَّم به، بل ويُصوِّره بأنه بلا فائدة.

+ عندما يمرض أحدٌ جسديًّا ويحتاج إلى دواء، فإنه لا يهمل تعاطي هذا الدواء ويترك نفسه مُهمَلة وعاطلة

منتظرة الموت المؤسِف.

+ لا ينصح أحدًا بشيء نافع، ولا يستمع لنصيحة أحد.

+ عبثًا توجد القوانين والقضاة، وعبثًا الخوف من العقاب، وعبثًا تُعطَى الكرامة والمكافآت لأصحاب الفضيلة.

+ يقول هذا التعليم ماذا يمكن للتعب أن يقدِّم لك؟

+ اتُرك دفة عقلك للأمواج مثل السفينة الهائمة بلا بحَّار ولا قائد.

أخبرني أتريد أن نقبل ما تفعله القدرية ولا نفعل شيئًا لخلاص حياتنا؟

التعليم بالتواكل والقدرية يجلب الفوضى والانهيار:
لو أن ما يحتويه هذا التعليم يُعدُّ أمرًا حتميًّا، عندئذٍ ستتوقف كل جوانب الحياة: فلن يقوم الزارع بعمله، ولن يُلْقِيَّ البذار ولا ينتظر الوقت المناسب للزراعة والحصاد. ولا سوف يزرع الأشجار ولا سوف يحصد حقله. بل يترك الزراعة ويجلس في بيته وينام طول اليوم إيماننًا بأن ما كتبته القَدَرية سوف يأتي من تلقاء ذاته بما فيه من خيرات. ولو أدارت القَدَرية وجهها للآخر فإن الزارع لن ينالَ شيئًا من أتعابه حتى لو تعب آلاف المرات في حقله.

لو أن كل شيء يتمُّ طِبقًا لما تكتبه القَدَرية، فعليك إذًا أن تلغيَّ كل شيء، إلغِ الزراعة، لا تنشغلْ

بالفلاحة، اطردْ كل الفنيين والحرفيين ولا تدعْ أحدًا يعمل في مجال حرفته؛ لا الباني ولا النحَّاس ولا النسَّاج ولا أحد ممن يخدمون الخدمة اليومية. عندئذ سوف ترى جيدًا نتائج الإيمان بالقَدَرية، وسوف تدرك وتتحقق من مدى الدمار الذي سيحل على كل من يؤمن بالقَدَريةِ.

الإيمان بالقدرية يؤدي إلى انهيار المبادئ ويشتت النظم بين الناس:

إلى متى نكون أطفالاً في العقل؟ إلى متى نستمر في الحديث عن الأمور الغبيَّةِ؟ حتى متى نجهل مَنْ هو ربنا؟

إذا كانت القَدَرية هي التي تصنع الأشرار والصالحين، لماذا تحرص على أن تُرشد ابنك، ولماذا ترسله إلى المدرسة لكي يتثقف، لماذا توفر له المال، ضع على القَدَرية والتواكل كل هذه الأمور. إذا كانت القَدَرية تُوجد حقًا، فعليك أن تترك ابنك ينحرف مع الناس الأشرار الفاسدين طالما أن هذا ما هو مكتوب، وما قدَّرته القَدَرية هو الذي سيحدث في كل الأحوال. إنك تفكر بهذه الطريقة تجاه مَنْ تخاف تهديدهم، ولكنك لا تفكر على هذا النحو تجاه الخَدَم الذين يخدمونك. لماذا تفعل ما بوسعك ليصير خادمُكَ خادمًا صالحًا ولا تثقْ عندئذٍ في القَدَرية والتواكل؟ ولماذا تعاقب خادمَك عندما

يصبح شريرًا طالما أن شَرَّه لا يصدر عنه، لكن عن القَدَرية التي دفعته إلى الشر؟ ولماذا تمدحه عندما يكون صالحًا طالما أن القَدَرية هي التي تستحق المدح، بل بالحري ليس هناك إنسانًا صالحًا وآخر شريرًا طالما أن لا أحد يصبح هكذا بذاته، بل الآخر هو الذي يُجبره. وبناءً على ذلك فلماذا نُثنِ على البشر ولماذا ندينهم ولأي سبب نلعن البعض ونباركِ البعض الآخر؟ أرأيتَ إلى أي مدى مِن الهذيان يقودنا التعليم عن التواكل!! فطِبقًا لهذا التعليم لا يوجد واحد مذنب وآخر فاسق، وليس هناك من هو شَرِهٌ ونَهِمٌ وآخر بارٌّ.لقد أُلغِيَتْ الفضيلةُ وأُلغِيَتْ الحياةُ هنا، لقد وُجِدنا في هذه الحياة لأجل الشرِّ. إن حتمية القَدَرية تجعلنا نندفع في الشر ومن قوة القَدَر نفسه نُعاقَب بأسوأ عِقاب بينما كان يجب أن نُرحَم.

كيف إننا نُكرَهُ على فعْلِ الشرِّ ثم نُعاقَب بينما كان لابد أن نُكرَّم؟

إن الذي يُظلَم ويُخضَع لَلإجبار كان لا يجب أن يُعاقَب بل يُكرَّم. ولكننا نُظلم عندما نفعل الشرَّ بإكراه من القَدَرية ثم علينا أن نتحمل العقاب. إن القَدَرية تصنع شخصًا قاتلاً ثم تدينه بالموت لأنه أطاعها . مثل شخص يجبر علي دفع شخصًا آخرَ من فوق قمة عالية، ثم بعد ذلك يطالب بعقابه. أو مثل أن يُسلِّمَ أحدٌ شخصًا إلى سيدة قاسية لتعذبه وتستعبده، ثم بعد ذلك يطلب عقاب هذا المرء على

عبوديته هذه ووقوعه في أَسْرِ هذه السيدة القاسية.

أليس ظلمٌ أن القَدَرية تجعلني شرِّيرًا دون أن أرتكبَ أيَّ شرٍّ، بينما تجعل من الآخر إنسانًا صالحًا بدون أن يفعل أي صلاح؟!. إن القَدَرية لا تحكم بالعدل ولا حتى كإنسان. فالناس يتميزون بالمحبة والصلاح لدرجة أنهم يُميّزون ما يحدث بإرادتنا وما يحدث بدون إرادتنا. أما هذه القَدَرية فإنها كشيطان خبيث تمزج وتخلط بين كل الأشياء.

كيف إننا نُكرَهُ على فعْلِ الشرِّ ثم نُعاقَب بينما كان لابد أن نُكرَّم؟:

إن الذي يُظلَم ويُخضَع لَلإجبار كان لا يجب أن يُعاقَب بل يُكرَّم. ولكننا نُظلم عندما نفعل الشرَّ بإكراه من القَدَرية ثم علينا أن نتحمل العقاب. إن القَدَرية تصنع شخصًا قاتلاً ثم تدينه بالموت لأنه أطاعها . مثل شخص يجبر علي دفع شخصًا آخرَ من فوق قمة عالية، ثم بعد ذلك يطالب بعقابه. أو مثل أن يُسلِّمَ أحدٌ شخصًا إلى سيدة قاسية لتعذبه وتستعبده، ثم بعد ذلك يطلب عقاب هذا المرء على عبوديته هذه ووقوعه في أَسْرِ هذه السيدة القاسية.

أليس ظلمٌ أن القَدَرية تجعلني شرِّيرًا دون أن أرتكبَ أيَّ شرٍّ، بينما تجعل من الآخر إنسانًا صالحًا بدون أن يفعل أي صلاح؟!. إن القَدَرية لا تحكم بالعدل ولا حتى كإنسان. فالناس يتميزون بالمحبة والصلاح

لدرجة أنهم يُميّزون ما يحدث بإرادتنا وما يحدث بدون إرادتنا. أما هذه القَدَرية فإنها كشيطان خبيث تمزج وتخلط بين كل الأشياء.

الإيمان بالقَدَرِية حجة للهروب من الجهاد من أجل الفضيلة:

أن تقنعني بصحة التعليم عن القَدَرية ؛ إذًا عليك ألا تدين المرأة التي تزني ولا تقود الزاني إلى المحاكمة. وإذا رأيتَ لصًا يسرق فلا تمسكه ولا تعاقبه لأنه لم يفعل ذلك بإرادته كما تقول. ولا يجب عليك أن تبالي بشئونك الخاصة لأن كل شيء يحدث إنما هو نتيجة أنه كُتِبَ له أن يحدث. إلقِ بالذهب الذي تملكه ولا تهتم ببيتك. إنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا من هذا كله، فأنت لا تقبل التعليم عن القَدَرية والتواكل ولكنك تتخذ هذا التعليم كحُجَّةٍ وذريعة تستند عليها عندما ترتكب خطيئة. أرأيتَ كيف أن الإيمان بهذا التعليم لا يأتي إلاَّ نتيجةً للامبالاتنا وإهمالنا ولكي نهرب من الجهاد لأجل الفضيلة.

فإذا كانت توجد قدَريةٌ فلا توجد دينونةٌ آتية. ولو وُجدَت القَدَرية فلا يوجد إيمان ولا فضيلة بل الشر. ولو وُجدت القَدَرية لأصبح كل شيءٍ عبثًا ولخَضَعَ كل شيءٍ للصُدْفَةِ، ولو وُجدت القَدَرية لِما وُجد ثناءٌ ولا إدانة ولا تقوى ولا حياء ولا قوانين ولا محاكم.

ما هو مصدر الفقر والغنى؟

سوف تسأل عن سببِ وجودِ شخصٍ غنيٍّ وآخرَ فقيرٍ. إن لم نعرف السبب فالأفضل بكل تأكيد أن نبقى في الجهل بدلاً من أن نقبل تعليمًا خرافيًّا. من الأفضل أن نجهل شيئًا صالحًا من أن نعرف شيئًا شريرًا، لأن في الحالة الأولى لا تجلب لنا دينونة أما في الحالة الثانية فقد لا تُغفَر. ولكن بنعمة الله صار واضحًا لنا لماذا يحيا الواحد في غنى والآخر في فقر.

فقد يغتني شخص لأنه ورث ثروة أبيه أو لأنه اشتغل بالتجارة. أو لجأ إلى الاحتيال أو النَصْبِ أو استولى على ممتلكات غرباء أو لأنه تزوج من زوجة غنية. وهكذا أيضًا توجد طرق كثيرة تؤدّي إلى أن يصير الشخص فقيرًا منها على سبيل المثال إنه وقع عليه ظلم، أو إنه خُدِعَ أو أنه بدَّد ثروته أو لأنه يعيش حياة كسل ولا مبالاة.

لماذا يتمتع الخطاة بخيرات كثيرة بينما يعيش الإنسان الصالح في معاناة؟

سوف تسأل لماذا نرى الشخص الذي ينفق أمواله على زناةٍ ومتطفلين ومنتفعين، ويسيء إلى إخوته في الإنسانية ويحيا في هذه الحياة الضالة والمنحلَّة، تتدفق عليه الأموال من كل ناحية، بينما شخصًا آخر يعيش في حياة الصلاح والعِفَّة والبرِّ وكل الفضائل الأخرى، لا يكون لديه حتى القَدْر الأدنى من الطعام؟

لماذا يحيا الشرير في غِنى ويعيش البار فقيرًا؟

والإجابة ببساطة هى:

❖ أن الفقير سينال مكافأةً عظيمة إذا احتمل حتى النهاية بصبر، والغَنيَّ سينال عقابًا عظيمًا ودينونة إذا لم يتغير ويَصِيرْ أفضَل.

❖ إن النِّعم التي تُعطَى من الله لأولئك الذين يَظَلُّون أشرارًا تصبح بالنسبة لهم مثل حِملٍ ثَقيل. أيضًا وفرة الخيرات التي تعطى لهم ولا يستخدمونها جيدًا تصير سببًا في إدانتهم إدانة عظيمة. هكذا بالنسبة إلى الفقير فإن الحرمان من الخيرات يصير سببًا في أن يفوز بالإكليل العظيم.

❖ بقدر ما يُحرَمُ الفقير في الحياة الحاضرة بقدر ما يكون مميَّزًا بأعماله الصالحة في الحياة الآتية، إذن لا تعتقد أن الفقير يُظلَم والغنيَّ يكسب مثلما يحدث بين الأشرار.

❖ إن الذين يُعاقَبون هنا، فهذا يحدث، لكي يتنقّون من كل خطاياهم أما الأشرار فأنهم سيعاقبون عقابًا أبديًا في الحياة الآتية. ومن ناحية أخرى فإن الله يدين الأشرار لأجل الخيرات التي إستخدموها بطريقة خاطئة وتمتعوا بها في هذه الحياة. «وأعطيتك بيت سيدك» (٢صم١٢ : ٨).

❖ وأخيرًا لو حسمتَ كل هذا بدقة في داخلك فلن تضطرب على الإطلاق لكل ما يحدث في هذه

الحياة؛ ذلك إذا انتظرتَ الأمور الآتية في المستقبل، وإذا آمنتَ بأن الأمور الأرضية ليس لها أيَّة قيمة، وإن كان لك أملاً في الحياة الأبدية

ليتنا جميعًا نستحق الخيرات السمائية بنعمة السيد المسيح آمين.

المقالة السادسة

الإسراف في تناول الأطعمة: هل يُعتَبَر خطية؟

قال كثير من اليهود في عصر الأنبياء: « لنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت» (إش٢٢: ١٣)، وليس من العَجب في شيء أن يقول الرسول بولس عن اليهود: «الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم» (في٣: ١٩).

ألا يستحق اللوم أنه يوجد اليوم بعد النعمة التي أعطاها الله وتفاهة أمور الحياة الحاضرة، وبعد هذا القدْرِ من الكمال الذي يكرز به الرسل، ليس فقط بالكلام بل بالأعمال مَنْ يردّد نفس الكلام الذي قاله اليهود؟

فهناك مَنْ يعتقدون أنهم أتوا إلى هذه الحياة لتحقيق هدف التنعم وامتلاء بطونهم وتسمين أجسامهم. إنهم بكل أسف يرحلون عن هذا العالم بعد أن يكونوا قد أعدُّوا مسبقًا مائدة في الجحيم ولكنها غَنِيَّة بأجسادهم ليشْبَعَ منها الدود.

خطية الإسراف والنهم:

يا ليت أنَّ ذلك فقط هو المُخيفُ، أن النهمين يصرفون حياتهم هنا بلا هدف، وهذا لا يخلو مِن الخطية ويستوجب الدينونة. لأن الأموال التي يعطيها الله لنا لتساعدنا على العيش ولنساعد بها المحتاجين؛ ألا نُقدِّم عنها جوابًا عندما نصرفها في المعصية والدناءة واللامبالاة! بالتأكيد سوف نقدم عنها حسابًا كمَثَل الخمس وزنات ، الذي قاله السيد المسيح ينطبق أيضًا على طريقة إنفاق المال وعلى أمور أخرى.

إن الذي يعيش في رفاهية ويسلِّم نفسه للخمر والسُكْرِ ويُكثِر من أكل اللحم حتى يكاد ينفجر هذا يرتكب خطية بإرادته وبدون إرادته أيضًا.ومثل السفينة التي تغرق عندما تزيد حمولتها عن الوزن المحدد لها، هكذا طبيعة أجسادنا، فهي عندما تتناول طعامًا أكثر من القدْرِ الضروري لها، فإنها تعاني من الآلام بل ولا تتمكن أن تحتمل الثقل الزائد، عندئذ تغرق في بحر الهلاك وتُغرِق معها رُبَّانَها وَبحَّارتِها ورَكَّابَها مع كل شيء آخر، حتى حمولتها. وكما أن السفينة في هذه الحالة لا يقدر على إنقاذها شيء، لا مهارة الرُبَّان ولا عدد البَحَّارة ولا جِدَّة صناعتها، فنفس هذا الشيء ينطبق على الذين يحيون في الضلال واللذات. فلا شيء يستطيع أن ينقذ النفس التي تتعرض لمثل هذا الخطر، لا التعليم ولا الإرشاد ولا الخوف من الدينونة ولا العار

ولا الخجل ولا الإتهام ولا شيء آخر، لأن الفوضى ستكون هي السائدة على كل شيء ويؤدي ذلك إلى أن الإنسان يواجه خطر الغرق الفظيع سواء أراد أم لم يُرِدْ ولن يكون انتشاله أمرًا سهلاً.

التنعم بالإفراط في تناول الأطعمة يجلب أضرارًا شخصية واجتماعية:

أولاً: بعض الأضرار الاجتماعية:

إن الإنسان المفرِط في تناوله للطعام يصير إنسانًا غير نافع وغير مناسِب لأي شيء، بل ويصبح مُهانًا في كل جوانب حياته سواء على الجانب الاجتماعي أو الشخصي. فتجده فاقد البصيرة في أي شيء يحتاج إليه، ولا يستطيع أن يدير أي موقف ويصبح صيدًا سهلاً لأعدائه وغير نافع لأصدقائه ولأهله. وعندما يواجه موقفًا صعبًا يَستولي عليه الجُبن والخوف المرضي والوساوس. وفى الأحوال العادية يكون صعب التعامل بالنسبة للجميع بسبب وقاحته ولامبالاته وفوضويته وغيرته. إضافةً إلى ذلك تكون نفس هذا الإنسان أكثر قباحة من جسده.

ثانيًا: الأضرار الشخصية:

إن الأرض الزراعية عندما تُروَى بماء أكثر مما تحتاج إليه، فإنها تفقد حرارتها الطبيعية وتفقد بذلك قُوَّتها وتصبح غير صالحة للزراعة ولا تستطيع أن تأتي بثمرٍ.

هكذا عندما تُثَقَّلُ المعدة بكميات زائدة مِن الطعام يصبح الجسد أكثر خُمُولاً مِن حالته الطبيعية ويبدو كما لو كان مملوءً مِن الطين. إن الذين يتنعمون بالإفراط في تناول الأطعمة يُهانون من أمراضٍ عُضال مثل الشلل أو الضعف أو آلام المفاصل كما يقول الأطباء. إن لذة الاستمتاع بالطعام تُعتَبَر مثل وحش مخيف وهائج ومثل العقرب والحية التي تلدغنا في أحشائنا. إن شهوة الإفراط في تناول الأطعمة تفسد الأمعاء وتفنيها، وعندما تستولي علينا فإنها تُدمّر النفس مع الجسد. إن الذين يعيشون في مثل هذه الشهوات، نجد أنهم صاروا سببًا لآلامهم وألقوا أنفسهم في هوة الشرور. وإن كان البعض يريد أن لا يتعرّض لكلام يسيء إليه أو لأضرار مالية أو لخطر ما، فإنهم يلجأون إلى عزاء الموت ويسيرون نحوه كمثل مكان آمن أو مثلما تسير السفن نحو ميناء هادئ لتتجنب الأمواج العاتية. أما أولئك الذين يُغذّون شهواتهم فإنهم لا يستطيعوا أن يستغيثوا بأي شيء، فُيسَلِّمون ذواتِهم إلى حياة أسوأ من آلاف يحيون وهم أموات ويصعب إنقاذهم لأن الحكيم يقول: «مَنْ الذي يرحم حاويًا لدغته الحية وجميع الذين يدنون من الوحوش» (حكمة يشوع بن سيراخ ١٢ : ١٣).

السعادة والاستمتاع الحقيقي هو في القناعة:

فلنفتشْ إذن عن السعادة الحقيقية وسوف نجدها في القناعة وليس في الاستمتاع الزائد. إني لا أطلب أن تصبحوا ضعفاء لكن علينا أن نرفض الإفراط في الطعام، علينا أن نتناول الأطعمة التي تَسُدُّ جوعَنا ولا تجلب علينا أضرارًا. إن السعادة الحقيقية التي تأتي من القناعة هي أقوى وأعظم من السعادة الزائفة التي تنتج عن الاستمتاع الزائد.

يقول سليمان الحكيم: « إن النفس الشبعانة تدوس العسل وللنفس الجائعة كل مُرٍّ حلو» (أم٢٧ : ٧). إذا وصلنا إلى المستوى الذي نصبح عنده لا نشتهي حتى قرص الشهد بالعسل، وعندما يكون الشيء الأكثر حلاوة لا يستطيع أن يقدم لنا سعادة، عندئذ فمَنْ الذي يستطيع أن يُسعِدنا. هكذا نرى أنه إذا طلبنا السعادة الحقيقية، فلن نجدها إلاَّ في القناعة. إذن ألا يكون من الحماقة أن لا نقترب من هذه المائدة التي تُقدِّم لنا سعادة وصحة وكل الخيرات وهى مرضيَّة عند الله. إن مائدتنا هذه لا يدينها الله ولا تحرقها نار جهنم ولا تكره أحدًا ولا تحسد أحدًا، لكن الله يقبلها والملائكة تشترك فيها والسماء تقبلها ويمدحها البشر. مثل هذه الموائد استضافتْ ملائكة وإليها يأتي المسيح وليس إلى موائد أخرى. مثل هذه الموائد كانت موائد الأنبياء والأبرار.

لكن موائد الطُغاة والذين يغتنون بالظلم والذين يستمتعون بخلاعة الراقصات والآخَرين ممن يُدَمِّرْون العالمَ من لصوصٍ وسحرةٍ، فعندما يُجَهِّزوُن موائدهم، فإن الملائكة تهرب بعيدًا، والله يغضب ورئيس الشياطين يفرح. وليس الأعداء فقط هم الذين يكرهون هذه الموائد، بل أيضا الذين يظهرون كأصدقاء. إن هؤلاء الأصدقاء والأعداء يأكلهم الحقد والغيظ دون أن تسعدهم الموائد التي يرونها.

والموائد الخالية من الرفاهية يحبها جميع الأصدقاء وتكون محببة لله وللملائكة لأن الإبن الوحيد الجنس يأتي إليها، وعندما يكون السيد المسيح بالقرب منا لا ينبغي أن نطلب شيئًا آخر.

فلتكن هذه الأمور في ذهننا يا أحبائي، وليتنا نهرب من تلك الأمور السيِّئة ونعتني بالأخرى الجيدة لكي نكسب الخيرات الحاضرة والعتيدة بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له مع الآب والروح القدس المجد والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

أتريد أن تقنعني بصحة التعليم عن التواكل والقَدَرية؛ إذًا عليك ألا تدين المرأة التي تزني ولا تقود الزاني إلى المحاكمة. وإذا رأيتَ لصًا يسرق فلا تمسكه ولا تعاقبه لأنه لم يفعل ذلك بإرادته كما تقول. ولا يجب عليك أن تبالي بشئونك الخاصة لأن كل شيء يحدث إنما هو نتيجة أنه كُتِبَ له أن يحدث. إلقِ بالذهب الذي تملكه ولا تهتم ببيتك. إنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا من هذا كله، فأنت لا تقبل التعليم عن القَدَرية والتواكل ولكنك تتخذ هذا التعليم كحُجَّةٍ وذريعة تستند عليها عندما ترتكب خطيئة. أرأيتَ كيف أن الإيمان بهذا التعليم لا يأتي إلاَّ نتيجةً للامبالاتنا وإهمالنا ولكي نهرب من الجهاد لأجل الفضيلة.

القديس يوحنا ذهبي الفم

يُطلب هذا الكتاب من :

سعر النسخة

١٢,٠٠ جنيه